MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 26-9-97
Photo No. : 250

جامعة وخيالها

بقلم سمير قصير

لم تعودنا يوماً جامعة الدول العربية على وقفات تشعل الخيال. وهذا اصلاً ليس دورها. فكما يولى علينا، تكون هي. من اين لها اذاً ان تذهب حيث لا تريد الدول الاعضاء او لا تستطيع؟ والدول الاعضاء لا تريد الذهاب الى اي مكان، منذ ان اعلنت الجامعة افلاسها ذات يوم من آب ١٩٩٠ حين توارت وراء القرار الاميركي بالحرب على العراق. بالكاد تقبل هذه الدول الذهاب الى القاهرة بين الفينة والاخرى لحضور الدورات الموسمية لمجلس وزراء الخارجية العرب، في ما يشبه طقوس زمن بائد.

ولكن لا بأس، فهذا مكسب في زمن بدا فيه ان عدداً من اعضاء الجامعة لا يريدون لها بقاءً. ولا بأس ايضاً ان حلّت قاعدة الاغلبية مكان الاجماع و"النقاط الاسترشادية" مكان القرارات. أليس المهم ان يحافظ القيمون على الديبلوماسيات العربية على الحد الادنى مما سمي يوماً "العمل العربي المشترك" حتى ينتقل شيء آخر غير الخراب الى من سيرثهم غداً؟

الحال افضل هكذا. لا خيبة امل، اذ لا امل في الاساس. ومع ذلك، لا بد ان يشعر حتى الاكثر رضوخاً لمقتضيات المرحلة، بنوع من الحرقة بعد الدورة الاخيرة لمجلس الجامعة، حرقة لا من غياب الاجماع والارادة: فهذا بات قدر الجامعة، وانما من غياب الرؤية. وهكذا يجتمع الوزراء ويبحثون بالطول والعرض في قمة الدوحة الاقتصادية (وان لم يقروا) التي ستجمع اسرائيل الى بعض الدول العربية دون ان يفكروا لحظة ان يوحوا للناس انهم خصصوا ربع دقيقة للحديث عن ضرورة عقد قمة تجمع الدول العربية في ما بينها. هل تذكرون؟ كانوا يسمون هذا النوع من الطقوس "قمة عربية".

في الماضي، كانت هناك القمم "العادية" التي تعقد سنوياً (مبدئياً) والقمم "غير العادية" التي تجتمع متى دعت الحاجة وتأمن الاجماع حول ضرورتها. زمن القمم العادية ولى. فآخرها كان في فاس، قبل خمسة عشر عاماً بالتمام، في ايلول ١٩٨٢. يومها افترق الملوك والرؤساء، بعدما اقروا خطة السلام العربية المستلهمة من مشروع الملك فهد، على امل ان يلتقوا في العام التالي في الرياض لعقد القمة العادية الخامسة عشرة، حسب الترقيم الرسمي للجامعة.

لم تعقد قمة الرياض ولن تعقد على الارجح فقد بدا جلياً في القمة غير العادية المنعقدة في القاهرة العام الماضي، ان الكل صار يفضل نسيان مبدأ القمم العادية وتالياً موعد الرياض.

لم يكن وارداً اذاً ان يبحث الوزراء في القاهرة في احياء قاعدة القمم العادية. ولكن ماذا عن قمة غير عادية؟ أليست الدول نفسها في حاجة اليها اليوم؟ لا للاتفاق على خطة عمل مشتركة حيال قمة الدوحة او عملية التسوية، فلا وهم عند احد منا، وانما لمجرد بلورة رؤية عربية لما آلت اليه تلك العملية، او حتى لمقارنة الرؤى المتباينة في ما بينها.

كل يوم نسمع من المسؤولين العرب كلاماً طالعاً نازلاً حول السلام او حول اسرائيل. لكن احداً منهم لم يبلور بعد رؤية شاملة لما يجب ان تكون عليه منطقة الشرق الاوسط، ومن ضمنها اسرائيل، في بداية القرن المقبل. يقولون جميعاً ان السلام خيارنا لكنهم لا يفسرون لماذا. يقرون كلهم بالتعايش مع اسرائيل بعد التسوية لكنهم لا يشرحون كيف يمكن ادارة هذا التعايش بشكل لا يجعل اسرائيل تستكمل في السلم ما جنته في الحرب.

طبعاً، كان يفضل ان تطرح هذه المسائل قبل الشروع بالمفاوضات في مؤتمر مدريد. لم يحصل ذلك، فجراح حرب الخليج كانت لا تزال ساخنة. حسناً. ولكن لماذا لا نستفيد الآن من التعطيل الراهن للمفاوضات حتى نستعيد انفاسنا، ونلملم بقايا رؤية عربية لمستقبل المنطقة ولصيرورة اسرائيل فيها؟ ثم الا يستحق احتفال اسرائيل بمئوية المشروع الذي سحق تاريخنا المعاصر ان نواجهه بمشروع مضاد للقرن المقبل؟

أرأيتم؟ بدأ الهذيان. من قال ان الجامعة لا تشعل الخيال؟

سمير قصير